

يتخاطبون ، الفرد يخاطب الجموع ، والجموع يخاطب الفرد ، وهم جميعاً في قدرة الأشخاص الذين يملكون في داخلهم « الدليل على كل قاعدة » . فالموضوع الذى يتخاطبون فيه ، هو الموضوع الذى يهتم به كل ناقد ، كما أن خبرتهم يجب أن تكون أيضاً خبرته . غير أن قطعة الأدب لا تتضمن كاتباً فحسب ، وإنما تتضمن أيضاً قارئاً . فهناك صوت في طرف ، ومستمع في الطرف الآخر . والناقد هو المستمع الذى يفهم ما يقال له ، ولا يفوته شيء منه ، بل من المعنى الهام العميق ، إلى أدق دلالات نغمة الصوت . ومن الممكن أن يجب الناقد الصوت أولاً . فما يقوله الصوت ، يمكن أن يكون صادقاً أو غير صادق ، أو يمكن أن يكون عذبةً أو فظاً غليظاً . ولكن بقدر ما تسمح درجة الوضوح في التعبير يجب أن يفهم الناقد ، وحتى يمكنه ذلك يجب أن يكون قادراً على إعادة بناء ما رآه المتكلم وتحدث عنه ، وجدوى تقديره ، وما حاول قوله .

إن لدينا القارئ ، والمتذوق ، والمقدر ، والقاصي ، والرقيب ، ماذا نسمى كل ذلك ؟ الناقد هو كل هذه الأشياء مجتمعة ( لكن الرقيب وحده - على ما أرى - يأتي في آخر القائمة ) . فالقارئ الناقد يجب أن يضع نفسه قريباً جداً - ويقدر المستطاع - من المكان الذى يقف فيه الكاتب . إن الكاتب هو الذى قام بالعمل الريادي ، لأنه هو الذى بنى القطعة الأدبية . ومع أن القارئ المتذوق يجب أن يكون قادراً على إعادة بنائها لنفسه ، إلا أن هناك مَنْ دَلَّه على الطريق . ومن الممكن أن يقارن الفنان بمهندس الطرق الذى يجوب الغابة ويمسحها ، ويشق طريقاً خلالها ، ثم يعيد مساراً . أما الناقد ، فيشبه المفتش الأول الذى يجتاز هذا المسار الذى تم ، كى يتفحصه . ومن ثم يرى وحشية الغابة التى امتد فيها الطريق ، ويحكم على مواد الطريق ، وكيفية استخدامها ، ويقدر مدى المتاعب التى بذلت فى عملية التمهيد . وربما راح يفاضل بين بعض الاتجاهات الأخرى التى كان يجب أن تتخذ هنا أو هناك ، لتجنب هذا المنحدر الصعب المرتقى ، أو هذا الانحناء ، أو هذا الجسر غير الضروري ، أو السريع التصدع . وعلى أية حال ، فإن هذا هو الطريق المختار ويجب عليه أن يجتازه ، كما يجب عليه أن يقيمه قبل أن يزدحم بالمسافرين ، وقبل أن يتغير بالتخلص من الغابة المحيطة ، بل قبل أن يصبح مهذباً ، ومألوفاً ، وشائعاً ، وتقليدياً . ولكن إذا ما حدث أن وصل متأخراً - بعد أن أصبح الطريق متغيراً بسبب الاستخدام المتواصل - وعليه أن يحكم على العمل كما كان على حالته الأولى ، فيجب عليه أن يفكر تماماً في